حزب البعث العربي الإشتراكي
القيادة القومية



وحدة حرية إشتراكية

أمة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

في السلوك الحزبي



منشورات الطليعة
1987

في التنظيم والتربية الحزبية

في السلوك الحزبي

ميشيل عفلق

- حول القسم
- جدية المسؤولية الحزبية
- كيف نفهم التنظيم
- الدفاع عن العقيدة لا يكون إلا هجوما
- المصير العظيم والأعمال اليومية
- الإستفادة من أخطاء الماضي والحاضر

حول القسم

لا شك(1) أن هذه اللحظة التي تقدمون فيها على أداء القسم للحزب هي لحظة خطيرة في حياتكم. فانتم بالرغم من ان مجيئكم الآن الى الحزب يفترض انكم لم تكونوا في الماضي بعيدين عن فكرتنا، وان أشياء كثيرة مشتركة جمعتكم بالحزب قبل ان تفكروا بالانتساب اليه. بالرغم من هذه الروابط فان عملية الانتساب تبقى عملية خطيرة. اذ ان ثمة فرقا هاما بين ان يلتقي الفرد في كثير او قليل من النقاط مع مبادئ حزب من الأحزاب فتعجبه هذه المبادئ من بعض نواحيها ويروق له ان يشارك الحزب بين الحين الآخر في نضاله وأعماله، الا ان ذلك كله لا يكتسب صفة الجدية الا عندما يقرر القرار النهائي بان يربط مصيره بمصير هذا الحزب وهذه الحركة، فلا يعود التقاؤه بالحزب التقاء عفويا تابعا لهواه ولرغبته وللصدف، ولا يعود التقاؤه بالحزب ومساهمته في بعض نضال الحزب من قبيل التبرع والهبة يقدمها لهذا الحزب الذي ليس هو منه ويستطيع بالتالي ان يمنع عنه هذه الهبة اذا أراد. بين هذه الحالة وبين الحالة التي ينتقل اليها الفرد بعد الإنتساب فرق كبير، لان في الحالة الثانية -بعد الانتساب- لا يعود متطوعا ومتبرعا، بل جنديا يقدم ما يعتبر انه مسئول عن تقديمه وانه إذا تأخر أو قصر في تقديمه فانه يكون قد خان فكرته وخان وجوده.

والواقع ان العلة الاساسية في مجتمعنا العربي الحاضر هي فقدان هذه الجدية في الارتباط، ليس في الأحزاب فحسب انما في الأعمال وفي كل التصرفات. هذا المجتمع الذي ما زال مائعا وضعيفا رخوا لا يوحي بعد لأفراده بجدية الحياة. لان الحياة شيء جدي وخطير للغاية، وانه هو الخطورة بعينها. ان الحياة هي المسرح الوحيد، المجال الوحيد أمام الإنسان لكي يحقق إنسانيته، لكي يحقق شخصيته، لكي يعبر عن جدارته بهذه الحياة، لذلك لا نرى في مجتمعنا بعد علائم الابداع وعلائم البطولة الا نادرا، لان الابداع ولان البطولة لا يأتيان الا من هذا الشعور، هذا الشعور العميق الذي يشعر معه الانسان بأنه مرتبط بشيء أساسي في الوجود، وانه مسئول في كل لحظة من حياته عن أداء واجبه نحو هذا الارتباط.

المفروض اذن في الانتساب الى الحزب الا يكون استمرارا لحالة سبقته. وانما ان يكون قطعا وإنهاء لتلك الحال وبدءا وانطلاقا الى حالة جادة ونفسية جديدة ومستوى جديد. فالذين كانوا انصارا واصدقاء للحزب يشاركون

اعضاء هذا الحزب في بعض أفكارهم وفي بعض أعمالهم، يجب الا يفهموا انهم عندما ينتسبون الآن للحزب انهم سيتابعون الطريق الذي كانوا يسيرون فيه ولكن بجد أكثر وبتفرغ أكثر وبعطاء أكثر، لا يجوز ان ننظر الى الدخول في الحزب على انه استمرار للمرحلة السابقة مع تقوية وتنمية لها، وإنما الأصح ان نحاول النظر إليه بأنه حالة جديدة يجوز ان تعتبر نقيضا للحالة السابقة.

فلقد ذكرت لكم بان الحالة الأولى يصح اعتبارها انها تطوع وتبرع. والحالة الثانية -الحالة الحزبية- هي مسؤولية. وقد ندرك المقصد من هذا الكلام -من هذا التفريق بين الحالتين- اذا اعتبرنا ان الاندفاع في فكرة وفي اتجاه تكون قوته بنسبة البعد عنه لا بنسبة القرب منه. بمقدار ما كنتم بعيدين عن فكرة الحزب واتجاهه بمقدار ما تشعرون بالظمأ والجوع الى ان تتشربوا هذه الفكرة وان تدخلوا الى أعماقها، وان تجسدوها في شخصياتكم وفي أعمالكم. وهل ثمة حاجة الى الاستشهاد بحوادث وشخصيات تاريخية؟ من لا يذكر مثلا عمر بن الخطاب؟ الذي كان اكبر مناهض لدعوة الاسلام، ولما انفتح قلبه لها أصبح اكبر عضد واكبر دعامة فيها. وكأن مناهضته السابقة لم تكن الا صورة معكوسة عن استعداده العميق لتقبلها. ولكنه استعداد أصيل لا يقبل السطحية ولا الزيف. ولذلك لم يشأ ان يقبلها دون تمحيص وتشكيك ومراقبة. وكأن مناهضته كانت امتحانا لهذه الدعوة.. بل امتحانا لنفسه. هل هو جدير بها؟ هل تتسع نفسه لها ولعمقها ولجدتها؟ كان يمتحن نفسه... ولما أتم الامتحان أقبل عليها، وكان من المبرزين فيها.

وامثلة اخرى قد تكون معروفة لديكم. ولكني لا اريد من هذا ان اقول ان يُشترط في طالب الانتساب الى البعث ان يكون قد عادى الحزب وناهضه. انما اقصد ان طالب الانتساب الى هذا الحزب يجب ان لا يعتبر مساهمته وقربه وميله الى الحزب مدة من الزمن شيئا كافيا لكي يفهم دعوة هذا الحزب ولكي يرتفع الى مستوى المسؤوليات التي يتطلبها هذا الحزب ويرتبها على المناضلين من اعضائه.

والانتساب الصحيح الى اية فكرة... الى أي موقف جديد في الحياة هو أزمة، ولا كالأزمات هو زلزال في النفس لا يأتي هينا سهلا، لا يأتي تدرجا، لا يأتي وكأن المرء ما غير شيئا من نفسه، وبقي في مكانه. إنما يأتي نتيجة أزمة في النفس، نتيجة انقلاب. الانقلاب الذي يدعو اليه الحزب بذرته هي تلك التي تحدث في النفس عندما تكتشف دعوة هذا الحزب وفكرته.

وكل المستقبل العربي.. كل مستقبل الأمة العربية متوقف على هذا الانقلاب في النفوس. متوقف على هذه الأزمة العصيبة.. على هذا الانتقال المفاجئ من حال الى حال.. على هذا الصراع النفسي الشديد بين حالتين: بين الحالة العادية المألوفة التي لا تنتج الا الضعف والا الفساد، وبين الحالة المرتقبة والتي ستكون نتيجة التمرد على كل

ما هو عادي ومألوف ونتيجة توتر شديد وعصيب في الإرادة وفي الشعور لاستخراج أعمق ما في نفوس العرب من إمكانيات غير متحققة، إمكانيات مخنوقة ومهملة. ويتوقف على كل فرد منكم ان ينظر الى هذا الحزب إحدى نظرتين، وبحسب النظرة التي يختارها يكون قد اختار نفسه وعبر عن نفسه وعن إمكانياته اكثر مما عبر عن الحزب وحقيقته.

ان واحدكم عندما ينظر الى الحزب بانه حزب يضم الافراد ليتعاونوا، وليضموا جهود بعضهم الى بعضهم الآخر، هذه الجهود العادية التي ألفوها، وانه لا يطلب من الحزب اكثر من ذلك، اي نظرة عددية.. نظرة كمية تفترض ان هذا الواقع هو واقع حسن لا ينقصه الا تجميع العدد، ويبقى الافراد كما كانوا لا يغيرون شيئا في نفوسهم ولا في عقولهم ولا في ارادتهم، هذه النظرة الكميه السطحية هي واردة ويوجد كثيرون يتبنونها، ليس خارج الحزب فقط بل داخله. وهذا مناقض للحزب. وهذا ضعف يشكو منه الحزب ويجب ان يتخلص منه.

ونظر ة اخرى انقلابية، هي ان الحزب لم يوجد لكي يجمع أعدادا وانما لكي يخلق أفرادا. والخلق تبديل أساسي في النفس في المشاعر والسلوك والتصرف..

وقلت بأن النظريتين متاحتان لكل منكم. والذي يختار يكون في الوقت نفسه قد عبر عن حقيقته. الذي لا يستطيع ان يبدل نفسه.. ان يستخرج منها القوة الخلاقة الكامنة ليتغلب على ما فيها من استسلام فيختار النظرة الكمية -الزائفة- السطحية. والذي يختار النظرة الإنقلابية يكون قد عبر عن نفسه، اذا كان جادا في اختياره، واذا كان يعني ما يقول، فأنه مصمم على تبديل نفسه.

لذلك لا يصح ان تدخلوا الى الحزب وانتم منتظرون منه ان يعطيكم كل شيء وان تكونوا منفعلين آخذين لا تعطون ولا تقدمون. لا تظنوا ان الحزب شيء موجود خارج نفوس أعضائه فالحزب هو أعضاؤه. الحزب هو كل واحد منكم، وكما تكونوا يكن الحزب، وكما تريدوا ان يكون الحزب.. يكن. هذه النظرة هي اعتماد على شخصيات الأعضاء وعلى دافعهم الذاتي العميق هي التي تضمن لحزبنا النمو.. أن يتغلب على الضعف وان يرتقي ويقفز حتى يصل الى المستوى الذي يمكنه من تحقيق اهدافه وغاياته.

(1) حديث خاص بالذين تقدمون لأداء القسم الحزبي، القي عام 1950.

جدية المسؤولية الحزبية

أحب ان أنبه الى ناحية في هذا الحديث القصير وهي جدية مسؤولية الاعضاء(1).

تعرفون اننا نلح دوما على أهمية القاعدة في الحزب ونعتبرها الضمانة الكبرى لمبادئ الحزب. ولكن يخشى ان تفهم هذه النظرة الى القاعدة فهما سطحيا ومنحرفا، فيعتقد بان واجب القاعدة ينتهي عند إعطاء الرأي، وان قاعدة الحزب هي هذا المجموع الكبير من الاعضاء، من شتى الانواع، من المثقفين ومن الطليعة الشعبية التي تجتمع في مناسبات وتنتقد وتحتج وتستنكر وتعارض وتستفسر لماذا حدث الشيء الفلاني ولماذا اتبع الحزب السياسة الفلانية ولماذا تصرف هذا الشخص على هذه الطريقة الخ..

ان اقتصار دور القاعدة على هذه المهمة لا يختلف كثيرا عن اقتصارها على التأييد والموافقة، اي ان قاعدة لا تعمل في الحزب إلا القول في بعض المناسبات: ان تقول لا وتقول كيف وتقول لماذا؟ هي تقريبا مثل القاعدة التي تجمع بين الحين والآخر لتقول نعم كالقطيع. الا ان المرض في الحالة الاولى مكتوم ومبطن وغير ظاهر في حين انه في الحالة الثانية مكشوف. فالقاعدة التي تستخدم كالقطيع مرضها واضح وهي قاعدة مزيفة مضللة وبالتالي يكون الحكم عليها سهلا فإما ان تستبدل او تصلح. اما المرض الذي يأخذ الشكل السلبي والاحتجاج فانه يوهم بأنه حالة سليمة وبأنه ليس مرضا وانما هو غاية الصحة طالما ان المظاهر تدل على الوعي والتدقيق والوجدان الحزبي الذي يستوضح دائما أو يناقش ويدقق. وكلتا الحالتين مرض، فما هي الحالة السليمة للقاعدة السليمة؟

الحالة السليمة هي ان يكون قول القاعدة بقدر عملها، وان تكون حقوقها بمقدار مسؤولياتها فلا تطالب الا بمقدار ما تؤدي من خدمة وعمل، ولا تحتج ولا تعترض الا بمقدار ما تؤيد وتعمل وتنفذ يوميا.

هذا معناه اولا ان هذه القاعدة لا تتلهى بالنقد تلهيا ولا تتشفى تشفيا، وانما تنتقد عن غيرة حزبية صادقة، لان وراء نقدها عملا ومساهمة وتضحيات. فمن حقها، ملئ حقها، ان تستفسر وان تعرف اذا كانت جهودها وتضحياتها مصبوبة في الطريق التي تحقق الغايه من هذه التضحيات، أم انها ستذهب عبثا او لأغراض خاصة غير سليمة وغير قومية. وثانيا لان الاعتراض والانتقاد عندما يصدران نتيجة الممارسة يكونان جديين ويكونان صائبين. فالذي

يمارس العمل يعرف بالتجربة والمعاناة ماذا يجب ان يصنع في مثل هذه الحالة. وعندما يعترض لايعترض اعتراضا نظريا بل يدرك ان هناك خطأ قد وقع.

فانتم أيها الإخوان، معاذ الله ان نعتبركم تلك القاعدة السلبية اللاهية غير الجدية وغير المؤمنة، والتي تكتفي بالقول والنقد السلبي للتلهي او للتشفي. نحن نعرف ونؤمن بأنكم شباب مملوؤن غيرة على بلادكم وقضية شعبكم، وانتم مرتبطون روحيا بمبادئ حزبكم، والى حد بعيد مرتبطون فكريا بهذه المبادئ، والى حد اقل وابسط مرتبطون عمليا. وواجبكم ان يصبح ارتباطكم العملي في مستوى ارتباطكم الروحي والفكري. ولا أقول هذا فقط عن وضعكم الحاضر وانتم ما زلتم في وضع خاص، وضع الدراسة الذي لايؤهل لحمل مسؤولية الحزب بكل نواحيها، فنحن نعرف ذلك ونقدره، ولكن الحزب لا يخاطب أعضاءه بالنسبة الى اليوم الحاضر فقط، الحزب يفترض ان أعضاءه دخلوا إليه ليبقوا فيه نهائيا وليربطوا مصيرهم بمصيره، وانهم بعد ان يجتازوا وضعا خاصا معينا سيستقبلون وضعا آخر قد يكون مستقلا، وفي اي وضع وجدوا فهم مطالبون دوما ان يجعلوا الواجب الحزبي في رأس الواجبات. فسواء اعتبرنا وضعكم الحاضر او نظرنا الى وضعكم المقبل، عليكم ان تعرفوا ان المسؤولية الحزبية تتطلب جدية اكثر بكثير مما ألفتم واعتدتم حتى الآن.

انكم كثيرا ما تتمسكون بعقائدية الحزب، وتظهرون الحرص عليها والخوف من ان ينالها اي تشويه. وطبيعي باعتباركم الجزء المثقف من الحزب، ان تشعروا اكثر من غيركم بهذا التجاوب بينكم وبين العقيدة، وان تظهروا عليها مثل هذه الغيرة. ولكن في واقع الامر ما هي العقيدة؟ هل هي المبادئ المسطورة سواء أكانت مختصرة ام مفصلة وسواء أكانت واضحة ام نصف واضحة؟ هل العقيدة شيء مكتوب وشيء للمعرفة والدرس، يستوعبه الذهن فقط؟ وهل هي امتحان مدرسي كامتحانكم؟ هل العقيدة هي هذا الشيء السطحي الذهني؟ وهل هي ان تحفظوا ما يملى عليكم وان تقارنوا بين ما حفظتم وبين ما يطبق بعيدا عن مشاركتكم في الحزب، فتجدون احيانا ان التطبيق بعيد عن الدرس الذي حفظتم؟

من تحصيل الحاصل ان نقول ان العقيدة هي ابعد ما تكون عن الدرس المحفوظ. انها وان كانت لابد ان تمر بطريق الذهن حتى تفهم، غير ان الذهن ليس الا طريقا، ليس الا ممرا لا اكثر. وواجب هذا الممر ان ينقلها الى الشعور والى الاخلاق والحيوية بكاملها، فتتحرك شخصية الانسان: تتحرك روحه، تتحرك عاطفته وأخلاقيته فيسجل مواقف جدية. ورب اناس يفقدون هذا الممر الذي يتوفر لكم انتم، اي ليس لهم ثقافة. رب اناس لا يفكرون في العقيدة لأنهم لا يملكون وسائل المعرفة الكافية ليجعلوا من العقيدة فكرا. ولكنهم يستطيعون ان ينقلوها الى الاخلاق والعاطفة والحيوية كلها ويستطيعون ان يجسدوها عمليا في مواقف حية وجدية. وهؤلاء قد يكونون اكثر عقائدية من المثقفين.

أتيت بهذا المثال المتطرف لكي أنبه تنبيها عنيفا الى ان الذهن وحده غير مجد، مع اقتناعي بان لا عقيدة جدية دون تفكير، وان عقيدة الفئات غير الواعية لا يمكن ان تكون جدية ولا يمكن ان تكون مضمونة متينة وبالتالي لا يمكن ان تخلص من الشوائب. إلا انه يجدر بالمثقفين ألا يغتروا وألا يناموا على ثقة الثقافة.

اذ لا فائدة من المعرفة عندما تكون خاتمة المطاف، وعندما تصبح غاية في حد ذاتها. فالمعرفة جسر الى العمل الجدي، واذا لم تكن كذلك فهي افيون للتخدير وهي واسطة للغرور ولتبرير الكسل والخمول. فنحن في وسطنا هذا الذي نعيش فيه ونصمم على تغييره من اساسه، نجد ان لهذا الوسط قوانين، وان فيه قوى واقعية لا يمكن تجاهلها، وان له أساليب. فالعقيدة يجب أن تنزل الى الارض لكي تستطيع التأثير في هذا الوسط وهي لم توجد الا للتأثير فيه. فاذا نظرنا الى العقيدة هذه النظرة عندها لا يمكن ان نقبل بان تبقى العقيدة في عالم من الغيوم والسحب، لا هي في السماء ولا هي في الارض. العقيدة وبالتالي العقائديون يجب ان تكون أقدامهم على الارض، ولكن يجب ان تكون نفوسهم حرة طليقة وان تكون عيونهم شاخصة الى مثل أعلى. لا يمكن ان تتغلب العقيدة وان يتغلب العقائديون على فساد الاوضاع، على القوى الاجتماعية والسياسية المزينة – وهي قوى محسوسة في وسطنا – الا اذا تجسدت في عمل واقعي. لا تكتسب العقيدة مبررها الوحيد – وهي الحرية – الا اذا استطاعت ان توازن وتعادل القوى الواقعية الفاسدة الراهنة، واكثر من ذلك ان تتفوق عليها وتنتصر. ولا يمكن ان ننتصر على القوى الفاسدة بالكلام، بترديد الشعارات، بالاستنكار، بالاحتجاج الخ... نتمكن من مجابهة القوى الفاسدة ومن التغلب عليها بالعمل الايجابي، بعمل واقعي على الارض، وليس في سحب الالفاظ والافكار الغائمة وترديد الشعارات.

لولا ذلك لما جعلنا حزبنا منذ اليوم الأول لتأسيسه حزبا سياسيا. وما زلت اذكر ان الكثيرين ممن يغارون على الحزب او يظهرون الغيرة عليه اخذوا يتساءلون عندما ظهر الحزب، لماذا اخترتم هذا الطريق وانتم جماعة مثقفة خيرة؟ لماذا لا تكونون حركة لنشر الفكر والتبشير؟ بل ربما كان بعض الاعضاء الذين دخلوا الحزب في اول عهده قد اخذوا بهذا الوهم او هذا الخطأ. ولقد اجبنا المتسائلين بان الصفة السياسية التي حرصنا على ان تكون اصيلة في الحزب منذ اول تأسيسه، منذ ولادته، هي امتحان لجديته ولواقعيته وهي درء لشتى الاخطار التي تتعرض لها الفئة المثقفة كالخيالية، والمثالية، والجبن الذي يتستر بالمبادئ، وفقدان الرجولة.

هذا الحزب حزب سياسي ولكنه ليس كسائر الاحزاب السياسية. وانه حزب عقائدي وله اهداف يسعى الى تحقيقها وهي الوحدة والحرية والاشتراكية. وهو حزب انقلابي لا يساوم ولا يقبل بالاصلاح الجزئي، بل سيناضل الى آخر الطريق. أنها – الصفة السياسية – امتحان للبرهان على إن هذه العقيدة ليست أحلام مراهقين وخيالات لمعلمي المدارس وضعوها ليلهوا بها انفسهم في ساعات الأرق، بل فيها من الحيوية ما يكفي لتدخل هذا الواقع

الفاسد دون تردد وان تغير بالصبر والمرونة حتى تصل الى تغيير هذا الواقع تماما فلا يبقى الا واقعها الجديد وبذلك تتحقق العقيدة.

فاذا كنتم الان تضمكم صفوف المدارس، وتأتون من شتى المدن والنواحي لتجمعكم الجامعة، وليس لكم في الوقت الحاضر ارض تطأونها وتركزون عليها اقدامكم كما يجب، فانتم مطالبون في أقرب فرصة ومنذ الآن – لأنكم لم تنفصلوا نهائيا عن الوسط الذي أتى كل واحد منكم منه – بان تعتبروا ان عملكم يجب ان يكون متجسدا، وان يكون على الارض، في وسط معين، في قرية، في حي، في بلد، في هيئة، مع جماعة، مع طبقة، مع بشر أحياء، وان تدخلوا هذا الوسط المملوء بالمصالح الخاصة، بالنفاق والكذب، بالجبن والانهزامية، بالجهل وبلبلة الافكار، بالعجز: يجب ان تدخلوا اليه كل في ناحيته المتيسرة له، وان تكافحوا وان تنقلوا حزبكم الكبير الى هذا الوسط الضيق الذي انتم موجودون فيه. انتم مطالبون بالتالي بان تمثلوا الحزب بأفكاره وتوجيهاته، بأسلوبه ونضاله وان تلمسوا يوما بعد يوم تقدما محسوسا بأنكم غيرتم شيئا ولم تتغيروا، واذا تغيرتم فالى أحسن، ان تزدادوا جرأة ومتانة ومرونة. أما إن تبقوا في جو ليس له حدود وليس له ملامح وليس له ارض يمشي عليها الا هذه الاجتماعات في المكتب، وهذا الانفعال العاطفي كالذي يسكر ويثمل بالعقيدة وترداد شعاراتها والفاظها المبهمة، كل هذا لا يؤدي الى نتائج جدية.

لا أنكر ولا احد ينكر بان لكم كطلاب مهمة خطيرة، وقد قمتم بها في اكثر الاحيان وستقومون بها. وسيظل الطلاب عنصرا خطيرا من عناصر حركتنا القومية... بان تقفوا المواقف القومية ضد الاستعمار والطغيان واستغلال الشعب. هذا دور له أهمية ولا احد ينتقص منه. ولكن هل تريدون الا يكون لكم الا هذه الصفة، الصفة المؤقتة، وانه عندما تنتهي دراستكم تفقدون كل مؤهل للعمل الحزبي؟ فالذي يلتحق بوظيفة ينسى حزبه، والذي ينتقل الى الحياة العملية ينسى حزبه ايضا الخ.. ابحثوا منذ الآن – اذا كنتم جديرين بمعنى الكلمة – عن الوسائل التي تتضمن استمرار حزبيتكم وبصورة جديه، لان الصفة الطلابية، بصراحة، لا تدل على قوة الحزب. فالحزب لا يحتاج الى قوة مبدئية كبيرة وقوة تنظيمية كبيرة لكي يكسب الطلاب، اذ انهم مهيأون لكي يكونوا مع الحزب. ولكن الحزب يبرهن على انه فاعل وخلاق ومبدع ومرب عندما يكسب الاشخاص في غير هذه الحالة السهلة العارضة المؤقتة.

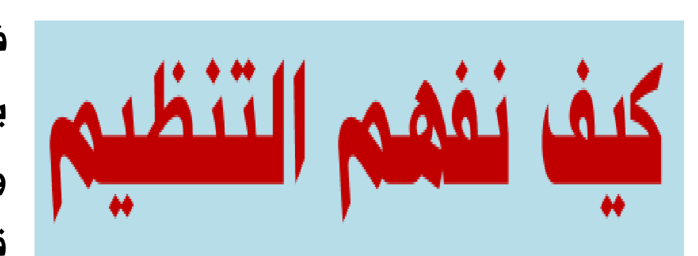
الخلاصة انكم مطالبون الان وفي المستقبل: الان في هذه الحالة المؤقتة بان تتحملوا مسؤوليتكم الحزبية بجد اكثر، ليكون لمواقفكم العقائدية ولمناقشاتكم ومطالباتكم للقيادة وللحزب وزن ومعنى، وليكون فيها نضج وخبرة يجب ان تتحملوا المسؤوليات بجد اكثر بان تبادروا الى العمل فاعلين لا منفعلين محرِكين لا محرَكين، ان تقبلوا بدافع ذاتي وان تملؤوا كل الفراغ الموجود في الحزب، وهو فراغ كبير، عندها يكون لانتقادكم وزن وتأثير.

اذ ما الفائدة من الاعتراض والصراخ بان المبادئ لا تراعى ولا تحترم وان ثمة انحراف الخ... هذه أشياء قد تنجح في التخريب والبلبلة وإشاعة جو التشاؤم واليأس ولكنها لا تخيف منحرفا ولا تخيف أشخاصا ليست لهم عقيدتكم. ولكن الذي يخيف والذي يرعب والذي يضع حدا لكل انحراف ولكل تهاون او تفريط هو ان تكون قاعدة الحزب قائمة بواجباتها متسابقة الى ملئ الفراغ متصلة بالشعب متفننة في خلق الأساليب التي تنمي النضال. عندها يصبح جو الحزب جوا عقائديا صحيحا منتجا ويصبح الذين يخالفون مبادئ الحزب في وحشة وغربة وذعر، وعندها اما ان ينصاعوا او ان يخرجوا. فحمايتكم للمبادئ تكون بالعمل وبتحمل المسؤولية الآن وفي المستقبل عندما تتركون الدراسة.

يجب ان تعرفوا الحقيقة وهي ان خدمة مبادئ الحزب، هذه المبادئ العامة، تكون في تنفيذ العمل الخاص ولا اقصد بذلك عمل الافراد لأنفسهم بل اقصد التنفيذ الجزئي. ان مبادئ الوحدة والحرية والاشتراكية لا تتحقق بالتظاهر والهتاف، من قبل المئات والألوف لهذه الشعارات، وانما تتحقق عندما يعمل العضو الفلاني في قريته مع خمسة او عشرين من أهل القرية عملا منظما متواصلا يوصل الى نتيجة، فيبدل فيهم التفكير والعاطفة وقوة النضال.

اني لواثق ان في نفوس الشباب كل الامكانيات وكل الاستعداد لتفهم هذه الدعوة الى الجدية، اذ لا انقلابية الا في مستوى من العمل جدي يصل الى حد التضحية.

(1) <u>حديث القي في الاجتماع الحزبي لطلبة كلية الآداب بتاريخ 13 نيسان 1955</u>



في هذا الاجتماع (1) سأثير بعض مسائل تتعلق بالتنظيم والتوجيه فأنتم تترأسون في الحزب فرقا وشعبا ومكاتب ومن الضروري ان تعرفوا ما هي مهمة قادة الفرق والشعب والمكاتب، وكيف ينظر حزبنا الى صفة القادة والتنظيم. وقد يخطر ببال الكثيرين ان الحزب المنظم، او المثل الأعلى للتنظيم الحزبي، هو ان يكون الحزب كالجيش او كالآلة المحكمة الدقيقة. واعتقد أن هذه إن هي الا تشبيهات ولن تصح. فمهمة الحزب غير مهمة الجيش، والحزب الذي هو مؤلف من افراد احرار لا يمكن ان يكون آلة او كالآلة. اذن ففكرة التنظيم في حزبنا متصلة بفلسفة الحزب نفسها، ويصعب جدا ان نفصل فكرة التنظيم عن الفكرة الاساسية التي تقول بالحرية. فنحن نسعى دوما ونلح في الطلب والتنبيه لكي يصل التنظيم في حزبنا الى أقصى درجات الاحكام والدقة، ولا نعني بهذا مطلقا اننا نهدف الى جعل الحزب آلة وجعل أعضائه أدوات صغيرة في هذه الآلة.

فالعضو ليس جزءا من الحزب. هذا تعبير خاطئ. العضو هو الحزب بصورة مصغرة، والمنظمات الحزبية ليست اجزاء. فالفرقة ليست جزءا ولكنها الحزب بصورة مصغرة. وبالتالي فالموجهون والمنظمون والقادة في الحزب ليسوا اجزاء اذا جمعناهم فيكون منهم شيء كامل. كلا، وانما كل واحد منهم شخص كامل، الا انهم يتناولون اجزاء من العمل. فليس من حذر في تجزئة العمل في التنفيذ فقط ولكن التجزئة لا تصح مطلقا على الأشخاص، وبتعبير آخر كل عضو في حزبنا عليه أن يعرف كل ما يهم الحزب، ان يطلع على هذا، وان يهتم، وان يعتبر نفسه مسؤولا. ولكنه من حيث التنفيذ لا يسأل الا عن الشيء الذي أوكل اليه تنفيذه. اما ان يكون العضو في التنفيذ والتوجيه محدودا في ناحية جزئية من العمل الحزبي فهذا خطر كل الخطورة.. اي لا يجوز له ان يطلع وان يهتم الا بهذه الزاوية الصغيرة التي حصرنا جزءه فيها. هنا يتحول العضو الى آلة، ومجموعة آلات لا تكون حزبا خلاقا يفيد المجتمع وينهض به. من هذه المبادئ الأولية يمكن ان نستنتج بعض القواعد العملية في التنظيم والتوجيه. فقائد الفرقة مثلا ليس هو اصغر قائد. عليه ان يطلع على كل شؤون الحزب وان يهتم بكل شؤون الحزب ومصيره

وان ينقل هذا الاطلاع الى اعضاء فرقته. ولكنه يبقى محصورا في الحدود التي عينها له النظام الداخلي من حيث التنفيذ فقط. ففي حين عين النظام الداخلي للقيادة العليا أمر معالجة السياسة والوقوف المواقف السياسية الكبرى والاتصالات والمفاوضات وغير ذلك لم يعط قيادة الفرقة مثل هذه الصلاحيات والمهام. الا ان قيادة الفرقة حتى تكون قائمة بواجبها يجب ان تعرف بصورة معقولة مختصرة، دون تفصيل ولكن بصورة واضحة، ما هي سياسة الحزب وما هي المواقف التي يقفها ومبررات هذه المواقف. فالفرقة لا يطلب منها ان تعالج مباشرة السياسة العامة بل بواسطة القيادات التي هي أعلى منها. ولكن لا يجوز ان تبقى جاهلة لهذه السياسة وان تكتفي باستلام الأوامر والتنفيذ.

وهناك نقطة اخرى. فلا يظن البعض بان نتيجة العمل تكون بنسبة ارتقاء هذا العمل في التسلسل الحزبي: القيادة العليا او قيادة قطر او فرع او شعبة او فرقة. هذه نظرة خاطئة لاننا اذا حرصنا على الصورة الاصلية لحزبنا ان يكون حزب افراد احرار فالقيمة لا تكون في مرتبة العمل في التسلسل، هل هو في المرتبة العليا او الوسطى او الدنيا، القيمة تكون في اداء العمل على أحسن شكل، وفي التعمق بأدائه والاخلاص به وفي إعطائه حقه الكامل من الجهد والاهتمام. وأكاد اقول شيئا ليس هو يقينيا ولكن لأبرهن لكم على فساد النظرة التي تعطيها القيمة للمرتبة. اكاد اقول ان الامر على العكس وان القيمة تكون للمجالات الدنيا اكثر من العليا مع قناعتي ان القيمة انما هي في درجة الاخلاص والتعمق في تأدية العمل. ولماذا قلت لكم هذا القول؟ لأنه كلما ارتفعت مراتب العمل في الحزب كثرت المشاغل وابتعد القادة عن المعاناة الحية مع الاعضاء لينهمكوا في أمور فكرية ونظرية وعملية تتطلب ولكنها لا تسمح بالاتصال المباشر كثيرا، في حين ان العمل في المراتب الدنيا هو اقرب الى الحياة لانه دائم مع الاعضاء كافراد احرار. فاذن المجال مفتوح اكثر لتربية هؤلاء الاعضاء لاستخدام الحرية في تنمية مواهبهم وكفاءاتهم وفضائلهم لانه لا شيء يعادل الاتصال المباشر.

هذا هو العمل المجدي الخلاق. انه تأثير مباشر من حرية على حريات مماثلة وإرادة على إرادات مماثلة ومن نفس على نفوس اخرى... وعندما تقوم حواجز بين القادة والاعضاء، حواجز غير حية، في المشاريع والدراسات والمواقف السياسية، يصبح مجال الخطأ اكثر لان هذا الاتصال قد نقص. فاذا اردنا ان نحرص على الصفة الانقلابية -لان حزبنا لم يوجد ليكمل الواقع المريض وانما ليبدل ويقلب- فإذا حرصنا على انقلابية الحزب يشتد حرصنا على فهم التنظيم على هذا الشكل ونقضي على كل هذه الآلية المنفرة في التنظيم والتي توهم بان الحزب ليس الا صورة عن دوائر الدولة لتسيير الاعمال وقضاء الاشغال ولتحويل الاوراق وللقيام ببعض الاعمال دون رغبة وقناعة ومحبة. ومتى انتهت هذه الاعمال يشعر الاعضاء بالحرية وبأنهم انتهوا من سخرة ثقيلة.. هذه الصورة لا تخلق نفوسا وكفاءات ولا تؤثر على المجتمع.

التنظيم في حقيقته روح ومحبة واحترام الكرامة الانسانية. فالتنظيم الآلي كله احتقار للانسان لانه يعتبر الاعضاء ارقاما فقط في حين ان البشر ليسوا ارقاما وكل منهم يختلف عن الآخر لان فيه ما يهيئه لان يخدم قضيته وفكرته، وبشكل خاص لا يتسنى لأي شخص آخر لان يخدمها بهذا الشكل. على المنظم ان ينظر الى اعضاء فرقته كل باسمه، وشرط شخصيته، انا لا افهم مطلقا ان يدخل أمين الفرقة وينظر الى مجموع الفرقة كأنها جسم غامض، وان يؤدي واجبه بشكل آلي ويطلب ما يجب ان يطلبه منها. الفرقة هي جسم اصطلاحي، فلتسهيل العمل قسمنا الحزب الى فرق. ولكن في الواقع الخمسون والثلاثون والعشرة لا يمكن ان نعتبرهم شيئا واحدا. خمسون معناها هناك خمسون عضوا لكل عضو كفاءات معينة وفيه عيوب يجب ان تعالج. فأمين الفرقة ان لم ينظر الى فرقته ويوثق الاتصال بينه وبين كل عضو ليكتشف كل واحد منهم بما فيه من كفاءات ومميزات وبما فيه ايضا من نواقص ورواسب تعرقل عمله الحزبي كنقص في الثقافة وخلل في المزاج او اي شيء آخر.. ان لم يكشف ذلك ليساعده على ان يؤدي عمله فانه لا يكون قدا قام بواجبه الصحيح. فواجبه اذن ان ينظر الى الفرقة بانها مؤلفة من بشر احرار وليست أداة للتنفيذ فقط. وعندما أقول قائد الفرقة فكأنني اقول كل عضو في الفرقة. فليس من فرق اساسي في حزبنا بين القائد والمقود لاننا نفهم القيادة بأنها حرية لا تفرض على الآخرين اشياء لا يقتنعون بها. وانما القيادة هي ان تكشف لهم عن حريتهم حتى يقتنعوا بما اقتنعنا به. وهكذا يتحقق الفرض الاساسي من تكوين الحزب وهو ان ننشئ مواطنين عربا احرارا بنفسية جديدة بإرادة جديدة. لا نستطيع ان نخلق مواطنين الا بالاتصال المباشر مع الأشخاص لا مع المجموعة.

في مجتمعنا افكار خاطئة كثيرة وخرافات عامية يتناقلها حتى المتعلمون لانهم لا يفكرون تفكيرا متعمقا. وكثيرا ما سمعنا في الماضي ونسمع حتى الان اعجابا بالحركة النازية مثلا، بالتنظيم النازي، ويتلهف الاشخاص الذين يتوهمون انهم غيورون على امتهم ويتمنون ان يتسنى ذلك لبلادنا. فمصير التنظيم النازي تعرفون ماذا حل به، ولكن يجب ان تنتبهوا الى انه اذا كان التنظيم على الاسلوب النازي اصاب الألمان بضرر فأنه يصيب العرب بأضعاف من هذا الضرر. فالأمة الألمانية أمة راقية قطعت مراحل في الحضارة وكان تاريخها في صعود واستوفت نصيبها من الحرية، وأثمرت هذه الحرية حضارة وفكرا... واتى وقت أصيبت فيه بهزيمة في الحرب أثرت على النفوس فتسرب اليها اليأس ونشأ شعور بأنه من المستحسن ان تقيد الحرية فترة موقتة ليحزموا أمرهم وليحققوا مطلبا قوميا.

وكان هذا مبرر لذلك التنظيم. ولكن الشعب المتحرر الراقي المتشبع ثقافة وفكرا لا يتحول بيوم واحد الى آلة حتى ولو أعطي صفة الآلة لأن كل تكوينه قام على الحرية. ومع ذلك فقد اساء هذا التنظيم وورطهم في اخطار ومحن كثيرة. ولكن يجب ان نذكر الفارق بين حالة العرب وحالة الأمة الالمانية. حالة العرب اننا انقطعنا منذ

قرون عن الحضارة، ونسينا الحرية منذ مئات السنين، وفقدنا دوافع الابداع ومقومات استقلال الشخصية التي تعرف كيف تتصرف.

واذن فنحن بحاجة الى ما يفتح فينا هذه الاستعدادات التي طمرت وخنقت، نحن بحاجة الى تكوين الفرد العربي الحر المسؤول الواعي المستقل. بحاجة الى تكوين الانسان العربي. لأن النظرة الإنسانية في جونا كادت تنعدم، لذلك قلت ان فكرة التنظيم لا تختلف عن فلسفة الحزب نفسه. فكما ان مهمة الحزب ان ينشئ، مجتمعا عربيا جديدا تسوده الحرية وتنطلق فيه قوى الابداع عند افراد الشعب الذي ترجع اليه المقاييس والقيم الانسانية الخالدة، فهو، اي حزبنا، مطالب بان يربي الانسان العربي. والانسان العربي لا يربى بالتنظيم الآلي بل بهذا الاحترام لشخصية كل عضو، بهذا التعرف الصبور المحب لشخصية وكفاءة كل عضو، ولأخطاء ونواقص كل عضو.

ولا اظن ان ثمة حاجة الى الاستدراك بان ما قلته لا يتنافى قط مع حاجتنا الى الاختصاص في الحزب، وعندما اقول بأن كل عضو يجب ان يعرف تقريبا كل ما يجري ويهم الحزب... وكل قائد فرقة او حلقة عليه ان يطلع على كل هذه الامور كافة، هو المسؤول عنها، لا اظن ان احدا منكم يفهم من ذلك ان العضو الموجه، يجب ان يتلهى بالأمور البعيدة ويهمل واجبه الخاص به، ان يشغل فكره بما يجري في ابعد مكان ويقصّر هو في واجبه المباشر الذي اذا قصر فيه اختل عمل الحزب.

المقصود اولا البرهان على وعي العضو وتشبعه بفكرة الحرية ان يقوم بواجبه. ولكن لا نريد ان يكون العضو بزالا في الآلة ينفذ العمل الصغير ويجهل كل ما حوله. انما نريد ان يكون حرا حاملا مسؤولية الحزب كله، فعليه ان يطلع لينفذ هذا العمل الصغير بنفسية كبيرة.

اذا كان مهتما بالحزب فلا يعود هذا العمل الصغير الموكل اليه تنفيذه عملا صغيرا وانما نابضا بالحياة، تتلخص فيه رسالة الحزب.

اذن نظرتنا الحرة الى التنظيم لا تتضارب مع التنفيذ الجزئي وتنمية الكفاءات الاختصاصية. فالاختصاص هو في التنفيذ، اما في العقل والنفس فلا اختصاص ولا تجزئة وانما يجب ان تكون النفس مرآة لوحدة الشخصية ولوحدة قضية الحزب.

(1) حديث ألقي في إجتماع لقيادة الحزب في دمشق بتاريخ 24 حزيران 1955

الدفاع عن العقيدة لا يكون إلا هجوما

منذ شهرين (1) انعقد مؤتمر الحزب القطري لسوريا وتناقش في أمور كثيرة تتعلق بسياسة الحزب وتنظيمه وخرج ببعض النتائج والقرارات الايجابية المفيدة. الا ان هذه المناقشات أظهرت مرة جديدة ما يشوب الثقافة الحزبية والعمل الحزبي من نقص وخلل.

لقد ظهر في دورة المؤتمر الأخيرة، كما كان يظهر في الدورات السابقة لجميع المؤتمرات الحزبية، حرص الاعضاء على عقيدة الحزب وعقائديته واستمساكهم بمبادئهم الانقلابية ورسالة حزبهم القومية، وكل هذا حسن ونافع. ولكن يجدر بنا ان نلقي نظرة على مفهوم الاعضاء الرائج عن العقائدية لنرى فيما اذا كان المفهوم الصحيح الذي يخدم الحزب ويقويه ويجنبه الإنحراف والعثار.

عقائدية الحزب ليست مجرد الاستمساك بالعقيدة واستنكار ما يطرأ عليها من تشويه ومخالفة، بل هي ايضا وعلى الأخص القيام بكل الاعمال والواجبات التي تتطلبها العقيدة حتى تسير في طريق التحقيق. فالعقيدة هي فكرة تحقيقها، والعقائدية هي تفكير وتحقيق في آن واحد، والعضو العقائدي ليس هو الذي يعرف العقيدة فحسب، بل الذي يعرفها ويطبقها، ويطبقها لأنه يعرفها. ذلك لان المعرفة العقائدية تحتوي في ذاتها على مبدأ التحقيق، والعقائدي هو الملتزم بتحقيق ما يعتقد.

حزبنا عقائدي والمفروض اذن ان يكون جميع اعضائه عقائديين، ولكن بعض الاعضاء اخذوا منذ مدة يفرقون بين نوعين من الاعضاء داخل الحزب: عقائدي وغير عقائدي. فما هو مستند هذا التفريق، وما القصد منه؟ هل مستنده "المعرفة" بمفهومها العادي، اي ان في الحزب اعضاء يعرفون ما هي عقيدته، وآخرين لا يعرفون؟ ام هو السلوك، اي ان بعضهم يسلكون بموجب العقيدة وبعضهم الآخر يسلكون خلاف العقيدة رغم معرفتهم بها؟

لا فائدة من انكار وجود اعضاء لا تهمهم العقيدة بقدر ما تهمهم مصالحهم الشخصية ووصولهم. وكل حزب معرض لان يتسرب اليه من يتظاهرون بتبني العقيدة ليسخروها فيما بعد للمصالح الخاصة والأطماع الشخصية.

ولكن من المفيد ايضا ان نعترف بان أعضاءنا العقائديين ليس كل سلوكهم عقائديا، وانهم هم ايضا يخالفون العقيدة بتقصيرهم عن فهمها الفهم الصحيح وعن أداء جميع متطلباتها، دون ان يكون عندهم قصد الاحتيال عليها واستغلالها. ولعل بين وجود هذين النوعين علاقة خفية. فبمقدار ما يقصر العقائديون عن حماية عقيدتهم بالفضائل الايجابية أي بالنشاط والبذل والروح النظامية والاندفاع المتصل، تقع هذه العقيدة فريسة بين أيدي المغامرين الانتهازيين والنفعيين الوصوليين. والدفاع عن العقيدة لا يكون الا هجوما.

والذي ينظر الى حزبنا نظرة واسعة بعيدة المدى يعرف بان ظهور الانتهازية والوصولية فيه ليس الا مقدمة واستعجالا لظهور نوع جديد من العقائدية تكون أقوى من التي توافرت له حتى الآن، فيها من صلابة الايمان ووضوح الوعي ما يؤهلها لمواجهة شروط العمل الواقعي والإقبال عليه دون جبن او ارتباك.

فاذا كان القصد من هذا التفريق سلبيا يرمي الى تغطية العجز وضعف روح البذل والتضحية والانصياع للنظام عند بعض من يسمون انفسهم عقائديين، فانه يكون تفريقا زائفا ومؤذيا للحزب. واذا كان القصد منه ايجابيا يرمي الى تحديد عقائدية الحزب وتقويتها بالتسابق الى النشاط والإنتاج والتثقف، وبالتغلب على الأنانية والفردية الصبيانية والارتفاع بالعمل الحزبي الى المستوى الانقلابي التاريخي، فانه يكون تفريقا واجبا وحيويا، وعندئذ يعبر عنه بالانضباط والعمل، اي يفرق بين الذين يطبقون نظام الحزب تطبيقا ايجابيا بتأدية جميع واجباتهم على الوجه الأكمل، وبين الذين يخالفون هذا النظام سواء بالتقصير او بالتخريب.

في الماضي، قبل تأسيس الحزب، كان السؤال هو: هل تتغلب الامة العربية على نفسها وواقعها، فتخلق من نفسها وواقعها، رغم كل ما فيهما من فساد وفوضى واستسلام، جيلا جديدا يمثل حقيقتها ومستقبلها ويقيم بينه وبين الواقع الفاسد سدا منيعا يسمح له بان ينمي بذور هذه الحقيقة، ويوضح صورة ذلك المستقبل؟ أما اليوم، وبعد أن قطع الحزب اشواطا من الطريق، فالسؤال هو: هل يتغلب الحزب على نفسه وواقعه، فيخلق من الفوضى التي دخلت بعض جوانبه، نظاما أشد واصلب من الماضي ويكون اقدر على صهر اعضائه وتنمية كفاءاتهم ورفع مستوى انقلابيتهم ونبذ من يشذ عن هذا المستوى من العناصر الرخوة والمخربة، ويخلق من الفساد الذي تسرب اليه فضائل جديدة، اكثر ايجابية من الماضي، تحمي انقلابية الحزب ورسالته التاريخية بغزو المجتمع لا بالانكماش عنه، ويجمع الحيوية الى المثالية بدلا من ان تكون هذه نتيجة لضعف تلك، وبتجسيد العقيدة في السياسة، خشية ان تبقى عقيدتنا نائية في سماء الوهم، وسياستنا متردية في حضيض التبذل.

(1) صدر هذا التعليق في النشرة الداخلية – القيادة القومية – حزيران 1955

المصير العظيـــم والأعمال اليومية

ان العام الذي خلا (1) والأشهر الأخيرة منه بصورة خاصة، كانت أشهرا مليئة بالاحداث وبالعمل، وقد عاش العرب في هذه الآونة الاخيرة أياما تاريخية احسوا فيها بوجودهم احساسا عميقا، كما احسوا بالاخطار الجدية التي تهدد هذا الوجود. لقد برزت الامة العربية في الآونة الاخيرة على المسرح العالمي كقوة فتية جديدة مبدعة، اضطر العالم ان يحسب لها حسابا، وقسم من العالم استبشر بميلاد هذه القوة الجديدة المبدعة، وقسم آخر تشاءم وذعر وأخذ يعد العدة للتآمر والكيد. فنحن اذن امام أصدقاء وامام اعداء، وبالدرجة الاولى نحن أمام انفسنا، قبل ان ننظر الى الاصدقاء او الى الاعداء. فاذا كان ثمة دواع كثيرة لان نتفاءل بما حققناه في السنوات الاخيرة من تقدم ملموس في الوعي وفي النضال، فانه يوجد ايضا ما يدعو الى القلق والخوف والحذر من شتى النواقص التي ما تزال تنتاب كياننا القومي، من عديد من الامراض الاجتماعية التي ما تزال تنخر في جسمنا القومي، من الثغرات العديدة التي هي وحدها المنفذ للخطر والاستعمار الخارجي. وكما ان الاستعمار وأعداء العرب تنبهوا ليقظة العرب وتقدمهم، فاخذوا يعدون لها مستوى أعلى من التآمر، ووسائلهم -كما تعرفون- كثيرة وخبيثة، فواجب العرب ان يرتفعوا بمستوى وعيهم ونضالهم وواجب الشباب بصورة خاصة ان يستمدوا من طموح الشباب دافعا للتجدد المستمر لكي لا يقنعوا بما ألفوه واعتادوه، ولكي يطلبوا دوما المزيد والوصول الى الكمال.

اليوم نفتح أعيننا على حقيقة رائعة، وهي اننا بدأنا نشعر بوجودنا فعلا، وبدأنا ننظر مستقبلنا واضحا بينا مشرقا، وبدأنا نتلمس رسالتنا في الحياة، وهذا يخلق فينا قوى جديدة واندفاعا اكبر، ولكن هذا الشيء هو نفسه يشكل خطرا علينا ما دام في العالم قوى فاسدة تخشى الخير وتخشى التقدم، وتعتبر حياتها رهنا بتأخر الشعوب الأخرى، وبعبودية الشعوب الأخرى. فاذن في نفس الوقت الذي اهتدينا فيه الى الطريق وشعرنا فيه بالقوة،

تتعاظم الاخطار حولنا، من كل جانب، وتزدحم المصاعب والأشواك في طريق مستقبلنا.. وهذا يرتب عليكم بصورة خاصة ان تعيدوا النظر لا في تفكيركم فحسب، وانما في احساسكم ايضا، في شعوركم بالحياة، في نفسيتكم، وان تتجاوبوا حق التجاوب مع هذه الانتفاضة الجديدة، وان لا تكتفوا بترديد الافكار والألفاظ، بل يجب ان تمتحنوها دوما لتروا اذا كانت مليئة بالحياة ام فارغة وسطحية.

الشعب البسيط الذي وجهتم اليه انتم وأمثالكم من شباب العرب في كل قطر هذه الشعارات والافكار، دخلت الى نفوسه وأخصبت وأينعت حتى أثمرت البطولات التي شاهدتموها. وجدير بالشباب اذن، بالشباب الواعي المؤمن ألا يتخلف عن الشعب البسيط. وهذا الشباب هو الذي ندب نفسه لتربية الشعب، ولكي يكون طليعته وقائده الى المصير العظيم. والمصير العظيم -ايها الاخوان- يتكون من الأعمال البسيطة والصغيرة، يتكون من سلوكنا اليومي. المصير العظيم للفرد وللامة، لا يهبط فجأة من السماء، وانما هو نتيجة لأعمال صغيرة يومية تتراكم وتختمر وتوصل الى نتيجتها، وعندها يظهر المصير.

فاذا لم تعملوا يوميا وتكونوا مستلمين مراكزكم وقواعدكم في النضال، في النضال المنظم، فان الفرصة تأتي - وما أكثر الفرص للبطولات- وتفوتونها لأنكم أهملتم الإعداد واستخففتم بالأعمال اليومية، وهذا ما يحسن بكم ان تذكروه في بدء هذا العام. فالعمل الحزبي مهمته ان يهيئ بصمت وصبر واستمرار لتلك الايام النادرة التي تتاح للأمة لكي تؤدي فيها امتحانا، ولكي تظهر فيها ما اختزنته في ايامها العادية بفضل صبرها ونشاطها وتجردها.

هذا ما أحببت ان اقوله لكم: كلمة هي مقدمة لاجتماعاتنا المقبلة في هذا العام، وكم من مرة قلت لكم بانني احب ان اجتمع بكم وأن أتحدث اليكم، ولكن في نفس الوقت اشعر بالقلق من الكلام ومن الحديث خوفا من شل رجولتكم وحيويتكم، خوفا من ان تكتفوا بأن تكونوا مستمعين في الحياة بدلا من ان تكونوا فاعلين وان تقوموا بدوركم البطولي، فالكلام سهل، والسماع -سماع الكلام- أسهل، واذا لم يكن الكلام وسماع الكلام تمهيدا للعمل.. لعمل جدي، فانه ضياع للوقت وخداع، والسلام عليكم.

(1) حديث القي في بدء السنة الدراسية بتاريخ 11 كانون الأول 1956



قبل شهر (1) او اكثر بقليل كان يزور الاقليم الشمالي هنا أخوان نقابيان من المغرب، حضرا مؤتمر العمال العرب في القاهرة ثم جاءا لتمضية ايام لزيارة هذا الاقليم.

واجتمعت بهما وتحدثنا وسألني احدهما قائلا: هل تعتقد ان القومية العربية يمكن ان تنجح دون الاستفادة من أخطاء الماضي والحاضر؟ فاستحسنت سؤاله وأجبته بأنني لو سئلت عن تعريف للقومية العربية لما وجدت أحسن من هذا التعريف (انها هي استفادة العرب من أخطائهم في الماضي والحاضر).

عندما يستفيدون من اخطائهم يستطيعون ان يحققوا بعثا لأمتهم وان يحققوا مساهمة ايجابية ضخمة في رفع مستوى الانسانية او في اغناء الحضارة الانسانية.

ولكن الاستفادة من الاخطاء ليست بالشيء السهل وبالتالي معركة القومية العربية ليست بالسهلة فهي من أقسى المعارك في التاريخ.

الاستفادة من الاخطاء تتطلب فضائل كثيرة وفضائل من النوع العالي، فضائل تجمع المتناقضات او بتعبير آخر ان تجمع الى التواضع ثقة لا حد لها بالنفس.. لكي نستفيد من اخطائنا يجب ان تكون عندنا فضيلة التواضع أي ان نكون بعيدين عن الغرور وعن التكبر والرياء والكذب. ان نحب الصدق لا ان نكون صادقين فحسب.. النظرة الصادقة البسيطة الصافية هذه هي الفضيلة، فضيلة التواضع ومحاسبة النفس بكل صدق وبساطة. يجب ان نملك فضيلة أخرى ايضا لا تقل عن الأولى هي فضيلة الثقة بالنفس اذ لولا الفضيلة الثانية لربما أدى الاعتراف بالخطأ الى اليأس والى الاستسلام والتخاذل.. نخطئ ونخطئ وليس هناك من أمل في إصلاح الخطأ.. فالفضيلة الثانية ان نكون واثقين بأنفسنا ومتفائلين بالحياة مؤمنين بالخير وان كل انسان يستطيع ان يصلح نفسه وكل شعب كذلك يستطيع ان يصلح حاله.

اذكر أني ربطت بين ثقة العربي بنفسه وثقته بأمته في حديث قديم يرجع الى 1944 ومنشور في احد الكتيبات بعنوان "الجيل العربي الجديد" ربط بين ثقة الجيل الجديد بنفسه وبأمته. ان من يثق بنفسه، يثق بأمته لأنه جزء منها، فما دام قد استطاع ان يتغلب على ضعفه وان يسيطر على هذا الضعف وينمي فضائله فهو جزء من هذه الأمة، ويمكننا اذن ان نسيطر على ضعفها وان نخرج منتصرين على كل ما فيها من امراض.

اذكر ايضا بأنني كررت دائما بان طريقنا صعب وأمامنا كثير من التجارب المؤلمة وان الشباب هم أجدر من غيرهم بان يؤمنوا بصعوبة الطريق لا بل ان يحبوا هذه الصعوبة لانها لخير امتهم وانه لشيء جدير بأن يحملوا عبئه. كل شيء جديد وعظيم القيمة لا بد ان يتطلب الجهد والتضحية.. فإذا كنا جادين في تضحيتنا لبعث الأمة العربية بعثا اصيلا شاملا لجميع نواحي الحياة وفي سبيل ايصال شعبنا العربي الى مستوى الإبداع في الحضارة كي يكون قدوة، اذا كنا جادين في هذا فلا يعقل ان نستعجل او ينفذ صبرنا بسرعة وان نريد النصر رخيصا سريعا.. لأننا في نفس الوقت نعلم ان هذه الأمة التي تولد من جديد في هذا العصر.. تحتاج الى وقت وتحتاج الى جهد وأتعاب وإزالة عقبات من الطريق تمرن بها خصائصها وفضائلها حتى تصل الى المستوى اللائق، والا نقع في الخطأ الذي وقع فيه السياسيون من قبل بأن يقولوا للشعب شيئا وأن يضمروا شيئا آخر.. ان يتظاهروا بالمثل العليا ويعملوا للكسب الشخصي، ان يتباهوا بالالفاظ الضخمة وان يكونوا في اعماق انفسهم ليس لديهم همة ومتعبين.. ولكننا بدأنا منتبهين الى هذا الضلال وحذرين منه عندما قلنا مرارا في بدء حركتنا ان عملنا هو رسالة لا سياسة.

اذن، ايها الاخوان، انتم هذا الجيل العربي الجديد أجدر الناس بأن تروا الأمور رؤية صادقة عميقة تختلف عن النظرة المشوشة السطحية التي ينظرها عامة الناس، حيث يذعر الآخرون ويتشاءمون.

انتم يجب ان تتفاءلوا وتُقدِموا.. عندما تعرض في طريقنا عقبة ونصطدم بصدمة وتحل بنا نكبة.. فلنترك الذين لا يعيشون في صميم النضال نترك لهم التشاؤم والذعر... ونحن نعتبر ان القدر هو الذي يرسل مثل هذه العقبات ليزيدنا تنبها الى اخطاء فينا لم نكن منتبهين اليها لكي نصححها، ولكي تأتي نهضتنا سليمة وعميقة كل العمق ولكي نقود انفسنا الى الجهد والصبر واسترخاص التضحيات في سبيل اهدافنا.. لاننا اذا لم نتعلم ونربي انفسنا وشعبنا ضمن الصدمات والاخطاء فلن نستطيع ان نربي انفسنا وشعبنا عندما نصل الى شاطىء السلام.. التربية الحقيقية تكون في وقت الشدة. لذلك لا يجوز للشباب العربي الثوري ان يحزن وييأس عندما تحل بالأمة صدمة او حتى نكبة لأنه ما دام مالكا للفضيلة الاساسية وهي الثقة بالنفس مع الفضيلة الأساسية الأخرى وهي الصدق في محاسبة النفس، فانه يرى في الصدمة او النكبة تحديا جديدا من القدر له ولأمته لتعلو فوق نفسها وترتفع الى مرتبة اعلى في الخلق وفي التفكير والمعنى الانساني.

ولعلكم تذكرون ايضا باننا في نظرتنا الى الأمور منذ بداية حركتنا تجنبنا كثيرا النظرة الرائجة والمنطق الدارج الذي يريد دوما ان يتنصل من المسؤولية ويلقي التبعة على عوامل خارجة بعيدة عن الأمة.. وبالرغم من اننا اعرف الناس بمساوئ الاستعمار ومصالحه وبكل ما جره علينا من ظلم وتأخر لم نكن نقبل لأنفسنا كجيل مناضل ولم نكن نقبل لأمتنا كأمة متحفزة للبعث ان تتواكل وتستريح على هذه النظرة.. على ظهر الاجانب ومفاسدهم وما اساءوا الينا. اي ان نظرة البعث شقت طريقا جديدا في التفكير والشعور، طريق الرجولة والاعتماد على النفس. وسدت منافذ الهرب لكي لا يهرب العربي من المسؤولية ويتذرع ويتحجج بالعوامل الخارجية وهذا كما تعلمون لم يضعف نضالنا ضد الاستعمار بل قواه.. هذه النظرة الجديدة لم يكن من نتيجتها تراخ تجاه الاستعمار وانما كانت حافزا للنضال. انما هذه النظرة تساعد على شيئين:

1- على رؤية الاخطاء ومعرفة اخطائنا.

2- على رؤية فضائلنا وقوانا.

وعندما نرض بأن نكون مسؤولين عن مصيرنا فهذا يعني باننا رأينا قصورنا.. رأينا مواطن الضعف ولكننا صممنا على مقاومتها.. اي وجدنا فينا مواطن القوة للقضاء على المرض والألم.

بهذه النفسية يجب ان ننظر الى المعركة الجديدة التي فتحت في العراق عندما انحرف المسؤولون هناك عن طريق القومية والوحدة وعندما وجد الاستعمار الغربي من جهة، والشيوعية من جهة اخرى، الفرصة كي يستغلوا الانانيات الشخصية والمصالح المحلية الحقيرة والإنتهازية السياسية التي تتقن الإنفصالية، عندما وجد كلا المعسكرين مصلحته في تشجيع هذه الإنتهازية الإنفصالية ليؤخروا ويعرقلوا نهضة العرب التاريخية.. عندها دفع هذا الانحراف وهذه النكسة وما تلاها من فواجع أصبح جديرا بنا كلنا ان نعتبر ذلك تنبيها جديدا من التاريخ.. تنبيها لكي نعيد النظر في طريقنا واسلوبنا ونفتش عن الخطأ لنصلحه واثقين بقدرتنا على رؤية اخطائنا وواثقين بقدرتنا على اصلاحها بعزم وتفاؤل.. اذ لا يمكن ان يمنعنا احد من متابعة نهضتنا.. قوى العالم اجمع لا تستطيع ان تمنعنا من متابعة السير اذا لم يكن الخطأ منا نحن. فالقوى الخارجية تستغل اخطاءنا.. وعندما نصحح نحن الخطأ نكون قد قطعنا عليها الطريق واستطعنا ان نستأنف السير.

هذا ما يجدر بالشباب ان يعرفوه او ان يهيئوا انفسهم لدراسته والتحليل والدرس الجدي لأنه لا يعرف جديا اين الخطأ وكيفية تفاديه. هذا ما يجار بكم ان تعرفوه وتتهيئوا نفسيا لمتابعة هذه المعركة في سبيل ان ننتهي منها لنصر جديد اكبر من الانتصارات السابقة لاننا نكون قد صححنا في نفوسنا أخطاء ونكون قد أيقظنا في نفوسنا قوى وفضائل لم نكن نعلم بها من قبل.

(1) كلمة ألقيت في إجتماع لأنصار الحزب من العراق حزيران 1959